

الانزياح في القواميس العربية والفرنسية

الأستاذة يحياوي زكية
جامعة الجزائر2

أتناول موضوع ظاهرة الانزياح بوصفه معيارا اتخذه بعض النقاد لتمييز اللغة الشعرية عن اللغة النثرية واللغة التواصلية، عندما تراجع المعيار الكلاسيكي (الوزن والقافية)، وتقدمت بدله خصائص أخرى يتكئ عليها الخطاب للتأكيد على شعريته.

وإذا كان مصطلح الانزياح حديث النشأة ، فالظاهرة التي يدل عليها ليست جديدة . ان الانزياح لصيق بكل الخطابات المجازية بما فيها الخطاب القرآني. وقد اهتمت الشعرية العربية القديمة بخصوصيات هذه الظاهرة ، وإن عبرت عنها بمصطلحات أخرى تابعة للسياق الثقافي العام السائد آنذاك ، مثل العدول، والالتفات، وشجاعة العربية... الخ.

وقبل الاحاطة بجدور مصطلح الانزياح في التراث العربي، وتطوراته في الشعرية الغربية الحديثة نخرج أولا إلى ظاهرة اللغة بما أنّها الظاهرة الكفيلة بإعطاء المرء مقوماته الانسانية عبر تمكنه من اجراء العملية التواصلية، فهي نظام عرفي للرمز. والانزياح جزء أو أسلوب من هذه الأساليب اللغوية، فهي حسب تعبير تمام حسان «وعاء للتجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحدا بعد الآخر»¹.

وفي هذا الشأن عرفها ابن جني (ت392) بأنها «أصوات يعبرّ بها كل قوم عن أغراضهم»² فاللغة عند ابن جني اذن أصوات ، ووظيفتها الابلاغ والتواصل بين الجماعات، وهي عند ابن خلدون (ت808هـ): «عبارة المتكلم عن مقصده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد لإفادة الكلام»³، فاللغة عنده قائمة على

عنصرين أساسيين هما الكلام واللّسان، باعتبار أن الكلام هو تحقيق اللغة عند فرد ما (واقعة فردية) تصدر عن وعي فرد بالاختيار الحر.

أما اللسان فقد عبر عنه بمصطلح « Langage » والذي يشمل حسب نظرية «فردنان دي سوسير» (Firdinand de Saussure) (1913-1897) على جزئين: الأول جوهري غرضه اللّغة، ذلك الجانب الذي يتميز بكونه اجتماعيا يتعلق بما هو نفسي أي ما ينطبع في النفس في صور الأصوات (Langue) والثاني: ثانوي يتعلق بالجانب الفردي من اللّسان ونعني به "الكلام" (Parole) وهذا الجزء نفسي فزيائي، ويختلف من فرد لآخر ومن موقف لآخر»⁴.

وعليه، فإنّ دي سوسير يفرق بين ثلاث مصطلحات (مواضيع) في الدراسة اللّسانية وهي (اللّسان، اللّغة والكلام) وكل هذه المصطلحات خاصة بالإنسان، وقد حده الحكماء منذ القديم بأنّه الحيوان الناطق، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أدت إلى ظهور علم اللسان (Science De Langage).

فاللّغة عنصر قار في العلم والمعرفة والتفكير، فباللّغة نتحدث عن الأشياء وباللّغة نتحدث عن اللّغة، وتلك وظيفة ما يسمى بـ «ما وراء اللّغة» (Le métalangage).

إذا تجاوزنا وصف اللّغة كنظام عام يحكمه خيط التواطؤ والاتفاق إلى وصفها كنظام التواصل آخر هو التواصل الأدبي نلتقي بثنائيات مع تعدد التسميات (اللّغة/الأسلوب) (المعيار/الانزياح) (القاعدة/الشذوذ)، وتلتقي هذه التسميات حول فرضية تخص لغة الأدب وهذه الفرضية تطرح عادة تحت مصطلح عام هو الانحراف وتذهب إلى اعتبار اللّغة الأدبية لغة خارجة عن القانون مزاحة عن العرف، رافضة للسلطة، والنص الأدبي بذاك هو الابن العاق للمرجع اللّغوي، أو ذلك الفوضوي الهارب من حراس حدود اللّغة، والإشكالية المطروحة هنا هي كيف يتموضع هذا المصطلح (الانزياح) في الشعرية؟ وهل ثمة سلطوية له؟ والأهم في هذا كيف يحرّر الشاعر الكلام بواسطة الانزياح- من استبدادية المرجع اللّغوي وينتقل به إلى حركية الإبداع؟ وقبل كل هذا كيف نضبط مفهوما دقيقا للانزياح؟

جاء في لسان العرب الجذر «زَيْحَ»، زاح الشيء يزح زيحًا وزُيُوحًا وزيحانًا وانزاح ذهب وتباعده»⁵.

والانزياح لغة: مصدر للفعل "نح" الشيء ينح نزحًا ونزوحًا إذا بعد، نح، نزوح نازح ونزحت الدار فهي تنح نزوحًا إذا بعدت، وقوم منازلهم... وبلد نازح وبعيد... وقد نح بفلان إذا بَعُدَ عن دياره.

ولا يختلف المعجم الوسيط ولا القاموس المحيط عن (لسان العرب) في تأكيدهم على دلالة البعد عند التعرض للفعل نح الذي هو من عائلة انزياح، وورد في معجم "أساس البلاغة" نح: نزحت البئر، وبئر نزوح، قليلة الماء، وبلد نازح وقد نح نزوحًا، وانتح انتزاحًا: بَعُدَ: وإبل منازل أي من بلاد بعيدة⁶.

في قاموس "المحيط" نجد الفيروز أبادي قد عرّفه بأنّه من فعل زاح: يزح زيحًا وزيوحًا وزيحانًا: بعد، وذهب، كانزاح أنزحته⁷.

وفي معجم الصحاح للرازي نجد: نح: «نح البئر، استقى ماءها كله وبابه قطع نزحت الدار: بعدت وبابه خضع»⁸.

من هنا، نستنتج أنّ معظم المعاجم اتفقت على أنّ معنى الانزياح هو البعد.

المفهوم الاصطلاحي للانزياح :

عرّف كتاب المصطلحات اللسانية والبلاغية، الانزياح بلاغيا بعد ما عرّفه لسانيا فقال: «أمّا الاستعمال الثاني لهذا المصطلح فإنّه يرتبط بعلم الأسلوب، ويعني الخروج عن أصول اللّغة وإعطاء الكلمات أبعادا دلالية غير متوقعة، ولهذا المصطلح في اللّغة العربيّة عدة مرادفات»⁹.

أما نور الدين السد فيقول: «الانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي، يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته»¹⁰، ثم يتابع ويوضح: «والالتقاء الكامن بين علم الأسلوب والانزياح هو كون هذا الأخير يعني انتقال اللّغة من مستواها العادي إلى مستواها الإبداعي، حيث تحيد عن سنن القاعدة العامة وتتجاوزها، فبدلا من أن يكون لكل دال مدلول تتعدى مدلولات للدال الواحد وهذا ما عبّر عنه الأسلوبيون بالانزياح»¹¹.

ويؤكد هذه الرؤية الاصطلاحية التي ترى أنّ الأسلوب هو الانزياح نفسه كثير من الدارسين، ومنه فالانزياح هو الابتعاد عن المعنى المألوف، هو ذلك الإبداع في الكلام والأسلوب وكسر للنظام فيصطدم القارئ بتجاوزاته الفنية المدهشة وبطريقة تركيبية لا متوقعة.

وممن ذهب إلى ذلك جان كوهن الذي عدّ الأسلوبية علما خاصا بالانزياحات إذ يقول: «الأسلوب هو كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة... هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذن خطأ مراد»¹²، فهو ما أكده كل من فيلي سانديرس وأسغود (Osgood): «إنّ الأسلوب خروج فردي على المعيار لصالح المواقف التي يصورها النص»¹³.

ومن التعريفات المؤكدة لهذه النظرة، تعريف فاليري: «إنّ الأسلوب في جوهره انحراف عن قاعدة ما»¹⁴.

البعد المعرفي للانزياح والاختلاف حوله :

يطالعنا الأسلوبيون بتسميات مختلفة ومصطلحات متعددة للانزياح، منهم عبد السلام المسدي الذي أورد طائفة من تلك المصطلحات وصنفها حسب مرجعيتها الغربية¹⁵.

| المصطلح العربي (المُعرب) | أصله الغربي | صاحبه |
|--------------------------|-------------------------|-------------|
| الانزياح | L'écart | فاليري |
| التجاوز | Le bus | فاليري |
| الانحراف | La déviation | سبيتر |
| الاختلال | La distorsion | والاك/فاران |
| الاطاحة | La subversion | بايتار |
| المخالفة | L'infraction | تيري |
| الشناعة | Le scandale | بارت |
| الانتهاك | Le viol | كوهن |
| خرق السنن | La violation des normes | تودوروف |

| | | |
|---------|------------------|----------|
| اللحن | L'incorrection | تودوروف |
| العصيان | La transgression | أراجون |
| التحريف | L'altération | جماعة مو |

وبعد استقرارنا لبعض التسميات التي أطلقت على مصطلح الانزياح نجدها جميعها دولا لمدلول واحد وهو "العدول أو الابتعاد"، وكلها تشكل عائلة لمصطلح الانزياح، وأن مجموعة منها تفتقر إلى اللياقة وتبتعد عن طبيعة الحقل الأدبي-النقدي، وتبقى بذلك صالحة فقط لممارسة السلطة الأخلاقية-الاجتماعية (العصيان، الانحراف، الاختلال، الإطاحة الانتهاك، الشناعة) ما جعل الكثير من الباحثين العرب يستغنون عن استعمالها إلا ثلاثة منها (الانزياح، الانحراف العدول) على حد رأي أحمد محمد ويس: «وإذا كان للمرء أن يختار من بينها، فسنتخار الانزياح لأنه الترجمة الأدق لمصطلح (L'écart) وأن العدول والانحراف قد يحملان معان أخرى بلاغية غير التي نجدها في الانزياح عند الدراسة الأسلوبية للنصوص¹⁶.

أثناء الانتقال من تحديد مصطلح الانزياح- في تداخلاته المختلفة مع مصطلحات أخرى وإيحائه بدلالة الخروج عن العادة- إلى تقصي دلالاته في التنظير النقدي، نجد أن اتفاقا عاما لمفهوم الانزياح على أنه انحراف الكلام عن النظام العادي والابتعاد عن السنن التي يجري وفقها الاستعمال اليومي للغة، وهذه الأخيرة في الواقع مستويان:

1- المستوى العادي: ويتجلى في هيمنة الوظيفة الإبلاغية على أساليب

الخطاب.

2- المستوى الإبداعي: وهو خرق المستوى المؤلف في اللغة.

مؤدى هذا الأخير أنه يشكل الظاهرة الانزياحية المتعددة المصطلح، وإن ذكر شائها وأهمل بعضها: فمن الشائع: مصطلح العدول والذي جرى استعماله عند المسدي بعد تراجعها عن مصطلح الانزياح الذي وظفه في البداية: «وعرف هذا المصطلح (العدول) مترادفات عديدة أهمها: الخروج التوسع، والتجاوز، التحويل والالتفات... وكلها مترادفات تدل في آن واحد على قوة الكلام المنزاح وإقرار منزلته

التي خصت بمميزات وتجاوزات لم يسمح لأي أداء كلامي أن يحظى بها، وتتفق هذه المترادفات على أن العدول هو خروج على غير مقتضى¹⁷.
كما نجد للانزياح تسميات أخرى قديمة كمصطلح (المفارقة) وهو ناتج عن ترجمة لمصطلحين:

- أولهما: Paradox

- وثانيهما: Irony وهو قديم جدا إذ ورد في جمهورية أفلاطون على لسان أحد الأشخاص الذين وقعوا فريسة محاورات "سقراط" وهي طريقة معينة في المحاوراة تعني عند "أرسطو" الاستخدام المراءغ للغة، وهي شكل من أشكال البلاغة عنده، وقد نشأت المفارقة في أجواء فلسفية يونانية، فكلمة (Paradox) يونانية الأصل تتألف من مقطعين (Para) وتعني المخالفة و(Dox) تعني الرأي، والمصطلح في مجمله يعني الرأي وما يخالف الشائع.
إن مصطلح الانزياح يستخدم على نطاق واسع اليوم في الدراسات الأسلوبية والبلاغية والنقدية واللسانية العربية، ما يعكس قبولا ورضا بما يؤديه من قدرة على الوصف من جهة وما يمثله من مناسبة للثقافة العربية تراثا وحدثا، حيث تتسع محاولات التأصيل للمصطلح انطلاقا من مصادرة التناسب هذه، ورغم ما تعرض له مفهوم الانزياح من درس وتحليل فإنه لا يزال يرد في معاجم النقد واللغة مقترنا بما يثيره من إشكالات ففي الاستعمال العام للغة المشتركة لعموم المتكلمين، نسي انزياحا كل فعل للقول يظهر منتهكا لواحدة من قواعد الاستعمال، الانزياح ينتج اذا عن قراره قيمة جمالية، الانزياح في أسلوبية معينة يحلل على أنه فعل أسلوب¹⁸.

في موسوعة علوم اللغة ورد المفهوم مرتبطا بتعريف الصور البلاغية لذلك جاء متبوعا بالاعتراضات الموجهة إلى منظور القاعدة/ الانزياح، فمما ورد في الموسوعة بهذا الخصوص: «يُعتبر الأسلوب أحيانا بمثابة انحراف بالنسبة إلى معيار، ولكن لا يمكن القول بأنَّ أسلوب فيكتور هوغو هو انحراف بالنسبة إلى معيار في عصره، أولا لأنَّ اعتماد هذا المعيار يطرح مشكلات لا يمكن تخطيها ثم لأنَّ ما يميز

هو جو ليس بالضرورة ما يميّزه عن الاستعمال المشترك¹⁹ وبالتالي ارتبط الانزياح بمفهوم الأسلوب وانحرافه عن القاعدة أو المعيار، والمعيار مختلف من عصر لآخر. ارتبط مفهوم الانزياح عند الغربيين بالدراسات البلاغية ومع أنّ البلاغة القديمة قد تمّ اختصارها في التعبيرية. ويعتبر دومارشيه (Du Marsais) وفونتانييه (Fontanier) من أوائل البلاغيين الذين اهتموا بإحياء الدرس البلاغي في مجازه وصوره وعلاقتهما بمستويات اللّغة وفي حين ركز دومارشيه في دراساته على المعنى من حيث التعدد (La polysémie) والترادف (La synonymie)، فإنّ فونتانييه اهتم بالمعنى من حيث علاقته بالحقيقة، فالمعنى الحقيقي عنده هو المنبعث من اللفظ المعتاد والضروري والإجباري، أما المعنى المجازي فهو الذي تحققه الصور التي تبتعد عن الطريقة البسيطة.

فالمعنيان الحقيقي والمجازي متقابلان ويعكسان مقابلة بين مستوى بسيط للكلام ومستوى يبتعد عنه باستمرار و«بهذا تحدد الدرس البلاغي في المستوى المنزاح عن اللّغة المشتركة ولكنه تحديد استند في تعريفه إلى مجهول»²⁰ والانزياح له دور في رسم صورة فنية راقية للعبارة والأسلوب فمنح الصورة الفنية لغة، ايحائية هي ما أسماه الناقد الأسلوبي جان كوهن اللّغة بالانزياحية.

أما قاموس جون دييوا (Jean Du Bois) فيشير إلى أنّ الانزياح «حدث أسلوبي ذو قيمة جمالية يصدر عن قرار للذات المتكلمة بفعل كلامي يبدو خارقا (Transarressant) لإحدى قواعد الاستعمال التي تسمى معيارا (Norme) يتحدد بالاستعمال العام للغة مشتركة بين مجموع المتخاطبين بها»²¹.

هكذا يبقى مصطلح الانزياح (L'écart) عسير الترجمة متشعب التسميات لأنّه غير مستقر في متصوّره لذلك لم يرض به الكثير من اللسانيين والأسلوبيين فوضعوا الكثير من المصطلحات البديلة عنه، وقد حاول جاكبسون تدقيق مفهوم الانزياح بـ: خيبة الانتظار وتلفه قد خاب (Dereived Expectation) أو (L'attente Déçue) وكذلك الانتظار المكبوت (L'attente Frustrée) وقد جاءت هذه المصطلحات من باب تسمية الشيء بما يتولد عنه.

يبدو أنّ هذا المصطلح قد شاع وانتشر بين الباحثين المعاصرين من خلال الترجمات والاطلاع على الدراسات النقدية الغربية الحديثة، إذ أنّ المصطلح قد عرّف بالفرنسية على أنه (Ecart) وبالإنجليزية على أنه (Déviation)، وقد اختلفت تسميات هذا المصطلح في النقد الغربي وذلك باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه، فقد عدّه بول فاليري تجاوزاً، وبارت يسميه فضيحة وتودوروف يدعوه شذوذاً، وجان كوهن يطلق عليه تسمية انتهاك وتيري يسميه كسراً وأراجون يدعوه جنوناً. والانزياح يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز أو نسميه بلفظة عربية استعملها البلاغيون في السياق المحدد وهي عبارة "العدول" وفي الدراسات العربية هناك عدة مصطلحات لمفهوم الانزياح أهمها: الإزاحة، العدول، الانحراف، كسر المألوف، الانتهاك، الخرق، التغريب الأصالة، المفارقة وهي مصطلحات معربة -على كل حال- ومن الناحية العلمية يعتبر الأسلوبيون أنّه كلّما تصرّف مستعمل اللّغة في هياكل دلالتها أو أشكال تراكيها عدّ انزياحاً، كما أنّ كلمة انحراف (Déviation) تعد مرادفاً لكلمة انزياح (Ecart) على أنّ الانحراف لا يخلو أيضاً من دلالة أخلاقية سلبية فإنّه مفروض بقوة التداول والشيوع لذلك يظل إلى جانب الانزياح يتنازعان المفهوم وإذا كان لابد من مفاضلة بينهما فإنّ الانزياح في تقديرنا هو الأمثل.

مستويات الانزياح:

يتجلى الانزياح في عدة مستويات هي:

- إن تتبع الانزياحات، والكشف عنها مهمة أسلوبية، وعلينا كدارسين لهذه الظاهرة أن نحدد المستويات التي يمكن أن تتواجد فيها الانزياحات.
 - الانزياحات وهي الحدث الألسني الذي يعرفه جاكبسون أنّه «تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختبار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيباً تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال²².
- وهذا ما أشار إليه أحمد محمد ويس حين قال: «إذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات، وجمل، فإنّ الانزياح قادر على أن يجيء في

الكثير من هذه الكلمات وهذه الجمل. وربما صحّ من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح، أما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن (الانزياح الاستبدالي) وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، وهذا ما سمي (الانزياح التركيبي)²³.

فالانزياح حسب أحمد محمد ويس واستنادا الى رأي كوهن نوعان: انزياح على مستوى محور الاستبدال ويتعلق بالمادة اللغوية للنص وانزياح على مستوى التركيب وما يشمله من سياقات داخلية داخل النص «ليس بوسعنا من الوجهة الأدبية أن نعتبر جميع الظواهر اللغوية في النص الخارجة عن النظام اللغوي ذات أهمية أسلوبية، وقيمة فعلية»²⁴، فالعبرة في ذلك حدوث أثر جمالي، وبعد دلالي، ولعل عبد القاهر الجرجاني أهم من يؤكد ضرورة تلاحم أجزاء الكلام والمعاني في النص إذ يقول: «واعلم أنّ ما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم، وفي حال ما يبصره مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين»²⁵، فقد شبه الجرجاني تلاحم أجزاء النص بمثال البناء، والذي يجب أن يتم وفقا عمليتين: اختيار الحجر المناسب وتركيبه في المكان المناسب (الاختيار والتركيب)، وهذا ما يمثل قضية الترتيب الزمني عند المحدثين والتي أسماها جاكسون بـ (متاليتين في الزمن).

وقد يظن البعض أنّ الانزياح يمس التعابير والتراكيب فقط بل إنّه يتعداها إلى الصور والأفكار والمعاني، والألفاظ، وحتى على مستوى الحروف، فعبد السلام المسدي يرى أنّ التضمين النحوي والذي هو تضمين حرف مكان حرف يعد نوعا من الانزياح وقال: «ومن باب ذلك (اي الانزياح) تضمين الحروف أي استعمال بعضها مكان بعض»²⁶، مثلا: قال الله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَاءكُمْ﴾²⁷، فالمقصود هنا هو الرفث من النساء أو بالنساء. أما الانزياح على مستوى الألفاظ، فهو من باب وضع لفظ مكان لفظ آخر، وهذا الأمر شائع ويتجلى

خاصة في التضمين النحوي، والذي ورد كثيرا في أفعال القرآن الكريم كتضمين الفعل يشرب معنى يروي فجمع بذلك بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد. أما الانزياح بالحذف فهو من ظواهر التركيبية أيضا وهو ترك ذكر عنصر من عناصر الجملة لغرض أو قصد مع وجود قرينة دالة عليه وقد عرّفه الزركشي بأنه «اسقاط جزء من الكلام أو كَلِّه لدليل»²⁸. فالزركشي يعتبر الحذف من المجاز العقلي ولا يعتبره لغويا، لأنه يسند فيه الفعل لغير فاعله كحذف مضاف إليه أو الموصوف، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾²⁹. فالطيّبات صفة لمحذوف معلوم من السياق، أي الأَطعمة الطيبة، وهي الموصوفة بالطيّب أي التي طابت وقد أطلق الطيب على المباح شرعا علامة على حسنه.

وفي الانزياح بالحذف ورعاية الفاصلة الصوتية قال الزركشي: «زيادة حرف، حذف همزة أو حرف اطرادا، الجمع بين المجرورات، أفراد ما أصله أن يجمع، جمع ما أصله أن يفرد، تثنية ما أصله أن يفرد، تأنيث ما أصله أن يذكر، زيادة كلمة، صرف ما أصله ألا يصرف، التكرار، إمالة ما أصله ألا يمال»³⁰.

والانزياح على مستوى التعابير والأساليب هو أمر شائع، فالاستعارة انزياح، وهي صورة بلاغية تحقق الاثارة، فقولنا: أشرقت الشمس أو طلعت الشمس هو تعبير مألوف شائع، لكن فتح الفجر جفنيه، أو الشمس تلقي بأول خصالها الذهبية على المدينة، استعارتان انزاح فهما عن التعبير المألوف، كما يمكن رصد الانزياحات على المستوى التركيبي وعلى مستوى التقديم والتأخير، التكرار، والانزياح على المستوى التركيبي بالحذف، حيث نجد حذف حرف أو كلمة أو جملة، وأما الانزياح بحذف حرف، فقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم بحذف وحدة صرفية أو بحذف وحدة معجمية، أما حذف الوحدة الصرفية فمنه قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلِآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾³¹.

فالواضح أنّ في الفاصلة الثانية عدولا في "قلّ" إذ حذف منها (الكاف) ما "قلاك" لوجوب العطف على ودّعك.

ومن امثلتنا حول الحذف في الحروف الجر قوله تعالى: ﴿ويستفتونك في النساءِ قل الله يفتيكم فيهنَّ وما يُتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساءِ اللَّاتي لا تُوْتوهنَّ ما كتب لهنَّ وترغبون أن تنكحوهنَّ والمستضعفين من الولدان وان تقوم لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإنَّ الله كان به عليماً﴾³².

إذ حذف حرف الجر في قوله تعالى «وترغبون أن تنكحوهنَّ» والمقصود هنا إما «ترغبون في نكاحهنَّ» أو «ترغبون عن نكاحهنَّ» ولحذف حرف الجر بعد (ترغبون) هنا موقع عظيم من الایجاز مع الاكثار في المعنى، بمعنى (ترغبون عن نكاح بعضهنَّ، وفي نكاح بعض آخر)، فالعل رغب يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يحب، وبحرف (في) للشيء المحبوب، فإذا حذف حرف الجرّ احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف³³.

والأمثلة كثيرة ومتنوعة في كل نوع من أنواع الانزياح من انزياح في التبليغ والانزياح في التلميح، أو الحذف، أو التضمن، ناهيك عن الانزياحات في المستوى الصرفي والدلالي والتركيبي والصوتي، ومجمل القول هاهنا، فإنَّ أي خروج عن المألوف والشائع يعدّ انزياحا على الرغم من عدم وجود معيار مثالي يضبط هذا المصطلح، فهذا ميخائيل ريفاتير مثلا لا يؤمن بوجود معيار مثالي، فهو حسب (الانزياح) مفهوم يلفه الغموض ويعوضه بالسياق، ويعتقد الكثير بأنَّ أي خروج عن معيار أو انزياح عنه يشكل جمالية، وبه يسمو الأسلوب، لكن هل يعقل أن يكون كذلك في كل الأحوال يقول الدكتور فاتح علاق: «وليس كل انزياح أسلوبيا وليس كل اختيار أسلوبيا أيضا»³⁴، وهو بذلك يؤكد رؤية جان كوهن في ضرورة التمييز بين الكلام الفني والكلام العادي من خلال درجة الانزياح.

فالانزياح إذا في أغلب التعاريف هو خروج عن المعيار، أو المألوف، وهذا المعيار مألوف عند الغالبية، وبالتالي فهو خروج من المألوف إلى اللامألوف، وهو ما يولد الإبهام والغموض وهذا ما يراه الدكتور خليل موسى، إذ يعتبر كل انزياح هو غموض في الرسالة وكلما زادت درجة الغموض زاد اللبس عند المتلقي، مما يحول الرسالة إلى عبث لغوي في حين كان من الأجدر أن يقوم على خلق الإيحاء فقط.

الإحالات والهوامش :

1. - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، المغرب 1986، ص9.

2. - ابن جني: **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، ط3، جزء3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص33.
3. - ابن خلدون: **المقدمة**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص206.
4. - ينظر: فردنان دي سوسيور: **دروس في الألسنة العامة**، ترجمة: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجيمة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1985، ص353-354.
5. - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: **لسان العرب**، ط1، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص552.
6. - أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري: **أساس البلاغة**، دار النفائس، ط1، 2009، ص583.
7. - الفيروز أبادي محمد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تقديم وتعليق، الشيخ أبو الوفا نصر الهزيمي المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 (مادة زاح).
8. - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: **الصحاح**، ط2، دار الحدائث، 1983، ص406.
9. - محمد الهادي بوطران وآخرون: **المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية**، دار الكتاب الحديث، دط، بيروت، 2008، ص160.
10. - نور الدين السد، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**: ج1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص179.
11. - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
12. - جان كوهن: **النظرية الشعرية**، ترجمة: أحمد درويش، ط4، دار غريب، القاهرة، 1999، ص35.
13. - ينظر: فيلي سانديرس: **نحو نظرية أسلوبية لسانية**، ترجمة: د/ خالد محمود جمعة، ط1، دار الفكر، سوريا، 2003، ص36.
14. - صلاح فضل: **علم الأسلوب**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1968، ص6.
15. - ينظر: عبد السلام المسدي: **الأسلوب والأسلوبية**، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977، ص96.

16. - ينظر: أحمد محمد ويس: الانزياح، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2005، ص46.
17. - خيرة حمرة العين: شعرية الانزياح "دراسة في جمال العدول"، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص8.
18. - Jean Dubois et autres : **Dictionnaire de linguistique**, PUF, 1973, p172.
19. -Oswald Ducrot, Tzevetan Todorov : **Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage**, éditions du seuil, 1972, p383.
20. - Tzvetan Todorov : **Littérature et signification "langue et langage"**, Larousse, PUF, 1973, p97.
21. - Jean Dubois et autres : **Larousse**, PUF, 1973, P115.
22. - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط3، دار سعاد الصباح، 1993، ص92.
23. - أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002، ص111.
24. - صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص213.
25. -عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شكله وقدم له ياسين الايوبي، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص137.
26. - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1، دار الجليل، بيروت، 1408هـ-1988، ص14.
27. - سورة البقرة، الآية 187.
28. - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص102.
29. - سورة المائدة، الآية 4.
30. - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص67.
31. - سورة الضحى، الآية 3.
32. - سورة النساء، الآية 127.
33. - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج5، (دط)، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ص212.

34. - فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري، ط2، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر
2008، ص73.